جمعية جامعة المحبة
المركز الثقافي
Culture Center

جريدة : روزاليوسف
التاريخ : 29ديسمبر 2009
الصفحة : 9
العدد : 1370
الكاتب : د/ عزة هيكل
السنة : 5

مريم.. نور القلوب

د. عزة هيكل

Azzaheikal@yahoo.com

من يشعر أنه قد شاهد نور السيدة العذراء وأنها تجلت له ولغيره فهذا إيمان داخلى لا يعبر عن معجزة حيث أن قصتها هى فى جوهرها ومغزاها ونتائجها معجزة بكل المقاييس

ليس فى الأسماء أجمل من اسمها وليس فى النساء أطهر منها إنها السيدة مريم العذراء التى اصطفاها الله وطهرها على نساء العالمين وهى فى ذاتها أسطورة من أساطير الإيمان والأمومة والنقاء والطهارة.

فهى الصغيرة التى نشأت فى الكنيسة وتربت فى الدير وصامت وعبدت وتعبدت فكان رزقها يأتيها من عند الله وحين اصطفاها المولى لأن ينفخ فيها من روحه وتحمل بين ضلوعها المسيح كلمة الله فى الأرض فإنها حملت وتحملت وواجهت الصعاب ونظرات الشك والريبة ولكنها سيدة نساء العالمين لم تتخل يومًا عن رسالتها السماوية ولا عن رسالتها الدنيوية فهى الأم الحنون الرؤوم التى آمنت بابنها وبقدراته ومعجزاته وساندته فى كل مراحل كفاحه من أجل رسالته.

وهى هنا مثال للأم التى تبث الأمل والثقة فى نفوسها وأولادها وقصة ظهور السيدة مريم العذراء فى كنيسة بالهرم والوراق وشبرا وغيرها من الكنائس المصرية هى قصة بها دروس وعبر حتى لو اختلفنا ورفضنا تصديق الحقيقة لأن الحقيقة غائبة ولأن الأديان فى مجملها تقوم على الغيبيات والروحانيات ولكن العقل البشرى الناقص يحاول دومًا تقريب الأديان بأن «يؤنسن الدين» أى أن أنسنة الدين أو تحويله إلى رموز ملموسة هو فعل بشرى وتفكير إنسانى لفهم الغيب وتقريبه من الواقع كما فعل كتاب الملاحم الإغريقية حين جسدوا ظواهر الطبيعة فى صور آلهة للخير وللشر وللحرب وللمعرفة وللجمال وجعلوا من زيوس أبًا لكل هؤلاء وكذلك عندما ظهرت الرسالات السماوية لم تخل الكتب المقدسة من قصص وأساطير وحكايات عن الملائكة والجن والبشر فى أسلوب قصصى حكائى يقترب من حياة الناس.

والعديد من الفلاسفة والكتاب العالميين والمصريين لجأوا للرمز والأساطير لتحليل الواقع والحياة المتناقضة فمنهم من تخيل ما بعد الوجود فى «رسالة الغفران» لأبى العلاء المعرى و«الكوميديا الالهية» لدانتى أو «الفردوس المفقود» لجون ميلتون و«أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ وغيرها من الأعمال الأدبية الخالدة التى قربت الغيب والمجهول من الواقع والملموس ومن حياة بسطاء البشر.

وفى أزمنة القهر والظلم يلجأ الناس إلى الروحانيات والغيبيات كما فعل زنوج أمريكا فى روايات «تونى موريسون» الحائزة على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٩٣ فهى تكتب عن المقهورين الزنوج الذين قد أتوا من أصل سيدنا سليمان حين نزل بأمريكا ومعه ٢١ ابنًا ثم طار بهم إلى موطنه فى أفريقيا لكن واحدًا فقط سقط وظل بأرض الأحلام يحلم كل يوم هو ونسله من السود الأمريكيين بالطيران والحرية والعودة إلى الأرض الأم، وهذا ما كتبته فى رواية «أنشودة سليمان».

أيضًا يحيى حقى فى «قنديل أم هاشم» تحدث عن زيت القنديل بمسجد السيدة زينب حفيدة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وأخت الحسن والحسين وكيف أنها رئيسة الديوان وأن كل النساء فى أوائل القرن العشرين كن يبحثن عن العلاج والزواج والإنجاب والمحبة بالصلاة والتضرع عند مقامها أو أن يحصلن على نفحة من زيت قنديلها وهذا يعنى أن الضعف والقهر قد يدفع المرء إلى البحث عن المجهول والغيبى من خلال تلك الأساطير وهذه المشاعر الدينية والتجليات الالهية فى صور مشايخ أو قديسين أو أهل خطوة ومكانة. وكرامات..

ومن ثم فإن فكرة ظهور العذراء بعد حرب ١٩٦٧ فى عام ١٩٦٨ والآن فى ٢٠٠٩ ظهورها قبل أعياد الكريسماس والميلاد المجيد هى فكرة تستدعى دراسة الحالة النفسية والعقلية التى وصل إليها المجتمع المصرى سواء مسلمين أم مسيحيين وليس ما نكتب على شبكة الإنترنت من تعليقات تشعل الفتنة بين المسيحيين والمسلمين سوى محاولة من محاولات الفتنة والخلل الأمنى لأن من يشعر أنه قد شاهد نور السيدة العذراء وأنها تجلت له ولغيره فهذا إيمان داخلى لا يعبر عن معجزة حيث أن قصتها هى فى جوهرها ومغزاها ونتائجها معجزة بكل المقاييس وليس هجوم البعض على من يؤيد رؤياها ويقضى ليله فى انتظار نورها بجوار الكنائس سوى نوع من مواجهة التمادى فى الغيبيات والخرافات لأن الواقع بحاجة إلى عقل متفتح يدرك الفروق ويعرف ما له وما عليه وهذا الإلهاء وهذا التشويش وتلك الفتنة ما بين مؤيد ومعارض تزيد الأمر سوءًا وتفضح القصور أكثر مما تكشف المستور المجتمعى والفكرى للعقل العربى.

فلتظهر مريمك لمن يريد ولتتجلى بداخل كل منا مسلما أو مسيحيا فهى أسطورة وقيمة وجمال وبهاء وإرادة وليست بحاجة إلى أن تكون نورًا تراه الأعين لأن جلاء القلوب والبصيرة هو الإيمان وليس البصر فإنما تعمى القلوب لا الأبصار... وكل عام والمسلمون بخير بمناسبة الهجرة النبوية المشرفة وبعيد الميلاد المجيد.